

سوسولوجيا الرّابط الاجتماعي: التّمظهر الأداتي وفرد الهشاشة

The social relationship between the appearance of a tool and a fragile person

ليامين عكاشة، جامعة أم البواقي، akachat.lyamine@univ-oeb.dz *

يحيياوي مريم، جامعة باتنة 01، drmmiyahi@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/10/05

تاريخ الإرسال: 2024/05/23

ملخص:

لظالما كان ظلّ السّوسولوجيا يمتلأ تارة بخطابات تتعلّق بتفكيك مفهوم الرّابط الاجتماعي وإعادة بناءه ضمن سياق ذاتي ليمثّل خطابا معرفيّا طاغيّا في السّوسولوجيا الكلاسيكية وغير الكلاسيكية على السّواء خاصّة بالنّسبة لمفكرين من أمثال دوركايم أو ماركس وغيرهم، وتارة يفرغ منها لصالح مفاهيم أخرى وهذا كلّ في عمليّة معرفيّة ترتبط بالدّرجة الأولى بالتحوّل التاريخي للوعي وتشكّلاته هذا باستعارة المفهوم اللّوكاتشي أو فيما يعبر عنه ببساطة بمصطلح التغيّر الاجتماعي: المادّة، العقل الأداتي، الإستلاب والوعي الهشّ كلّها بطريقة أو بأخرى تمثّل ركائز مفاهيميّة يكون بالنّسبة لها مفهوم الرّابط الاجتماعي هيكلًا مفاهيميًا مرنا يأخذ في كل حالة شكلا مختلفا.

تهدف هاته الورقة العلمية بالإعتماد على الوصف الى تحليل مفهوم الرّابط الاجتماعي نظريا من خلال عرض كلاسيكيات الفكر السّوسولوجي الغربي ومحليّا من خلال دراسات لباحثين في مجال السّوسولوجيا الجزائرية. وفي الأخير تمّ الوصول الى استنتاج فحواه أنّ طبيعة الرّابط الاجتماعي يرتبط بالتحوّلات الكبرى للوعي الإنساني القائمة على التحوّل المادّي في المجتمع ويتشكّل أيضا وفقها.

الكلمات المفتاحية: الرّابط الاجتماعي، فرد الهشاشة، العقل الأداتي، تحوّل العلاقات، الرّابط الاجتماعي في الجزائر.

* ليامين عكاشة

Abstract:

The shadow of sociology has always been filled with discourses related to dismantling the concept of social bond and reconstructing it within a subjective context to represent a dominant epistemological discourse in classical and non-classical sociology alike, especially For thinkers such as Durkheim, Marx, Tönnies, Norbert Elias and others, it is sometimes emptied in favor of other concepts, and this is all in a cognitive process related primarily to the historical transformation of consciousness and its formations by borrowing the Lukac's concept or in what is simply expressed in the term "Social change"; Materialism, instrumental mind, alienation, fragile consciousness and technology All of them in one way or another represent conceptual pillars for which the concept of social bond is a flexible conceptual structure that takes a different form in each case.

This scientific paper aims, based on the description, to analyse the concept of social bond and link the concept to the major transformations of human consciousness, which are directly made by the transformation in the functions of the mind, whether enlightenment or liberal mind, relying on theses of some of the first sociologists, on the one hand, and on the other hand, an analytical reading of the social bond in Algeria.

Keywords: social relationship, individual fragility, instrumental mind, relationship mutation, social bond in Algeria

مقدمة:

إنّ الحديث عن الروابط الاجتماعية ليس وليد اللحظة ولكن هناك إمتداد تاريخي يمكن ملاحظة بآته يصل الى السوسيولوجيين الأوائل على غرار ماركس ودوركايم وغيرهم، أمّا وجود التّضامن أو العصبية أو الولاء وغيرها والتي تعدّ أشكالاً للروابط الاجتماعية لا يرتبط بحدّ تاريخي معيّن ولكنها كممارسات موجودة ما وجدت التّجمعات البشريّة.

تشكّل العلاقات الاجتماعية وحدة تحليل أساسية في حقل السوسيولوجيا ولذلك كانت من الأولويات القصوى خاصة في السوسيولوجيا الكلاسيكية هي تفكيك هذا المفهوم بما يتناسب مع طرح فهم توتاليراتي للمجتمع ولتكوّنه بالدرجة الأولى كما اعتقد دوركايم هذا من جهة ومن جهة أخرى بناء معنى علمي ومأسّس عنها في سبيل فهم الوقائع الاجتماعية والتي تتعلق أساساً بالتجمّع البشري والتي ترتبط بالقيم والمعايير التي تنتشر بينهم، في خضمّ هذا الهدف أنتجت سواء عن قصد باستخدام مفهوم الرّابط الاجتماعي وبتهديده كهدف معلن لدراسته أو بالحديث عنه في سياق تحليلي معيّن، في هذا الصّد هناك بعض من المفكرين السوسيولوجيين وعلى رأسهم ماركس ودوركايم وبعض الماركسيين الآخرين من أمثال هوركهايمر ولوكاتش الذين تحدّثوا عن الروابط الاجتماعية كلّ حسب رؤياه وتوجّهه في السوسيولوجيا؛ أو كان تحليل بنية الروابط الاجتماعية ضمن سياق علاقات الإنتاج القائمة على مفهوم الاستعباد الطبقي للرأسمالية أو البرجوازية للطبقات الأخرى وخاصّة البروليتاريا ضمن نموذج أيديولوجي ومحاولة تشكيل ممارسة ثقافية تنطلق من فكرة تهذيب الأفراد والطبقات الاجتماعية المحرومة من إمتلاك المادة في بانوبتيكون (بطرح فوكو) معنوي يتموضع في الهيكل العام للمجتمع وهذا وفق نموذج لفرد مسلوب وأنومي يعاد إنتاجه باستمرار وفق التصرّو البرجوازي، أو كان قراءة الروابط الاجتماعية وفق مفهوم التّشيء ومفهوم الوعي وكيف يأتّر على نظام العلاقات الاجتماعية أو سواء أكان تحليل ينطلق من فكرة العقلية الأداتية التي تمثّل وجها من أوجه الإستغلال هي الأخرى ولكن نوع من الإستغلال البين-ذاتي للعقل وتكوين ما يسمّى بفرد الهشاشة والتي تنسب الى مفكّري مدرسة فرانكفورت وعلى رأسهم هوركهايمر وأدورنو، أو من خلال قراءة مفهوم الروابط الاجتماعية وفق إعطائها شكل التّضامن كما فعل دوركايم.

وعليه هذا المقال يهدف باستخدام الوصف ونوع من التحليل السوسيولوجي الى تفكيك لأكثر أربع مقاربات شهرة معرفية في تحليل مفهوم الزوابط الإجتماعية مع قراءة سوسيولوجية للزوابط الإجتماعية في الجزائر، وعليه نطرح التساؤل التالي كيف يمكن تفسير الرّابط الاجتماعي اعتماد على طروحات دوركايم وماركس ولوكاتش ومدرسة فرانكفورت من جهة وكيف يمكن فهم الزوابط في المجتمع المحلي؟

1. تفكيك مفهوم الرّابط الاجتماعي:

1.1. لغة:

مصطلح الرّابط مشتق من فعل "ربط" فيقال: رَبَطَ الشيءَ رَبَطًا شَدَّةً، ونقول ربط الطريق قطعه وسلب فيه المازة، ونقول أيضا ربط الشّخص على الأمر أيّ واطب عليه (المعاني، ص1).

2.1. إصطلاحا:

عرّفه بيار كويسبي في كتابه الرّابط الاجتماعي بأنّه: مجموع العلاقات التي تربطنا بالعائلة، الأصدقاء والجيران وصولا الى الميكانيزمات الجماعية للتّضامن ومرورا بالمعايير والقواعد والقيم التي تزودنا بالحد الأدنى لمعنى الجماعي.

وقد عرّفه أندري أكون وبيار أنصار في قاموس "روبار" بأنّه: أشكال من العلاقات تربط بين الفرد وبين المجموعات الاجتماعية والمجتمع، والتي تمكّنه من عملية التنشئة والإندماج واكتساب هويّته داخل المجتمع، فسوسيولوجيا العلاقات الاجتماعية هي سوسيولوجيا أشكال التنشئة والضبط الاجتماعي في نفس الوقت، وضعف الرّوابط الاجتماعية يؤدي الى حالة اللامعيارية (خواجه، 2018، صفحة 12).

وعرّفه بارسونز إنطلاقا من مفهوم البناء الاجتماعي بأنّه: وهو عبارة عن مجموعة من الأطر التّنظيمية التي تنظم في إطارها كافة العلاقات سواء كانت تلك العلاقات بين الأفراد أو بين مجتمع ومجتمع آخر، البناء يتكوّن من أنساق إجتماعية والتي هي بمثابة جملة من النّظم (القاربة، سياسية، معتقدات، اقتصادية، ثقافية) (قوارح و بغداددي، 2020، صفحة 75)

وهو أيضا كل الأشكال من العلاقات التي تربط الفرد بالمجموعات الاجتماعية وبالمجتمع، والتي تسمح في نفس الوقت بأن يكون اجتماعيا وأن يندمج في المجتمع (طلحة، 2021، صفحة 20).

والرابط الاجتماعي هو أيضا مفهوم يطلق بشكل عام على مختلف أنماط العلاقات التي تقوم فيما بين الأفراد في مجتمع ما (طبال، 2012، صفحة 121).

ومما سبق يمكن اعتبار الرابط الاجتماعي على أنه جملة العلاقات التي تجمع بين الأفراد بشكل مباشر أو غير مباشر والتي يتم إنتاجها في مجتمع ما انطلاقا من فعل التفاعل، وهي تأخذ عدة أشكال منها التضامن تبعا للوضع الثقافي والتاريخي للجماعة.

2. كلاسика الروابط الاجتماعية: دوركايم وتشكل المجتمع:

إنطلاقا من التساؤل "كيف يستطيع مجموعة من الأفراد تشكيل مجتمع؟" يبني دوركايم أطروحته التي تحمل عنوان: "تقسيم العمل" والتي تعد الأساس المعرفي الأول لهذا المفكر الذي تحدث فيه عن معنى الروابط الاجتماعية، إرتكازا على مفهومي التضامن الآلي والتضامن العضوي حاول دوركايم الإجابة عن التساؤل السابق وكلّ هذا في إطار دراسته للعلاقة بين أفراد المجتمع الواحد ومحاولة لفهم تقسيم العمل في المجتمع (طلحة، 2021، صفحة 28)، وهو يعتقد أيضا بأن شكل الروابط الاجتماعية تستطيع أن تفسّر لنا بطريقة ما النظام الاجتماعي بداعي أنها "تسمح بجمع الأفراد فيما بينهم وتربط الفرد بالجماعة" (طبال، 2012، صفحة 121).

إنّ ما يحدث على مستوى التفاعلات اليومية بين الأفراد في بقعة مادية واحدة يأسس مفهوم التغير الاجتماعي الذي يعبر عن صيرورة مجتمعية تنطوي على عديد الأشكال والصّور للعلاقات الاجتماعية وكلّ شكل منها هو محكوم بمجموعة قوانين ثقافية واقتصادية تميّز كلّ مرحلة مجتمعية عن الأخرى، لقد ربط دوركايم التجلّي العام للعلاقات الاجتماعية بمفهوم أو بشكل "التضامن" وكلّ هذا ربطه من جهة أخرى بما أسماه "بتقسيم العمل" (كناري، 2014، صفحة 138) وبغض النظر إن كان هذا التقسيم يعبر عن الحالة الإيجابية أو السلبية من تطوّر العمل إلا أنه يعتبر إلى حدّ ما نتيجة منطقية لعملية التحول الثقافي في طريقة تفاعل الأفراد وإستجاباتهم المبنية على أساس إعتقادهم بقيمة المادّة وطريقة توظيفها في الحياة الاجتماعية، بلغة أبسط إنّ تحوّل المجتمع من المجتمع القديم والبسيط إلى

المجتمع المعقد هو تحوّل في نمط العلاقات السائدة بين الأفراد أنفسهم وهنا دوركايم ربط بين مفهوم التّضامن الّآلي والذي يعتبر محصّلة لسلوك خاضع ثقافيًا وهو حالة من "اندماج الفرد" داخل الجماعة (سوامية، 2016، صفحة 164) وهو أيضًا حالة من حضور الجماعة داخل الفرد يكون فيها تصوّره للروابط الإجتماعية قائم على مبدأ التّقديس، الى نوع علاقتي يسود فيه التّضامن العضوي يتمّ بناءه في بيئة تتميز باللاتجانس من ناحية القيم والمعتقدات من جهة بالتنوّع في البيئة الماديّة وفي نوع النّشاط الإقتصادي السائد من جهة أخرى.

يطرح دوركايم نوعين من التّضامن الّآلي أو الميكانيكي والتّضامن العضوي، النّوع الأوّل من التّضامن هو الذي يسود المجتمعات البسيطة والتي يكون فيها إرتباط الأفراد فيما بينهم مؤسّسا على التّمائل بين الأفراد سواء في القيم والمعتقدات وفي بناء التّصوّرات والاحكام المجتمعية، في حين أن المجتمعات الأكثر تعقيدا ترتبط فيما بينها من خلال الاختلافات الإجتماعية وهي تتميّز بوجود النّوع الثاني من التّضامن المسّى بالتّضامن العضوي وهو ما يميّز المجتمعات الصّناعية الحديثة التي تنحصر فيها التكافلات كما كان في المجتمع التّقليدي وقد تمّ إستبدالها بداعي التّغبّر والتّحوّل أو التّقدّم الإجتماعي بروابط "أشدّ ضحالة" وقد أكد هذا الطّرح فردراند تونيز وبعض السوسيولوجيين بعده (سكوت، 2009، صفحة 104)، كلا النّوعين من المجتمع محكوم بنوع مفاهيمي يختلف عن الآخر وحتى إن وجد كنوع مفاهيمي في كل المجتمع إلا انه لا يوجد بنفس مقدار الحضور فمفهوم الشّعور الجمعي يميّز المجتمع التّقليدي عن المجتمع الصّناعي وهو مكوّن معنوي يساهم بالدرجة الأولى في حفظ التماسك الاجتماعي بين أفراد ذلك المجتمع، في حين يحضر في المجتمعات الصّناعية مفهوم الوعي الفردي وهو لا يقوم بحفظ تماسك المجتمع كما هو موجود في المجتمع التّقليدي بقدر ما يعبر عن خاصية الاختلاف والتّفرد (طبال، 2012، الصفحات 122-123).

3. ماركس متحدّثًا: البرجوازية تمادد الرّوابط وتسليها:

المتّمعن للفكر الماركسي خاصّة الجزء المتعلّق باهتماماته حول ما يسمّى الآن بـ "الرّابط الاجتماعي أو العلاقات الاجتماعية" يجده بلا أدنى شك يتدرّج في بناء لفكره هنا عبر عدة نقاط كبرى وأساسية تبدأ أولاً بتحليله للاهوت والدين خاصّة من المنظور البيبلي والفويرباخي وهو يسهب كثيرًا في ذلك نظرا لأنّه يعتبره بالأساس مجالًا معرفيًا يرتبط الى حدّ ما بالمجتمع الصّناعي الحديث، وبغضّ النّظر عن فكرة أنّ

الدين يمثل بالنسبة له وعيا زائفا تتوه الحقيقة في طريقه، وفي أشهر أفكاره يقول عنه: الدين زفرة الكائن المضطهد، قلب عالم بلا قلب، روح أوضاع بلا روح. إنه أفيون الشعب" (فالج، 2018، صفحة 146) وهو أيضا يمثل مفهوما يمكن ويعزز من الهيمنة الطبقيّة في المجتمع؛ على نفس المستوى الزمكاني وكبلورة لهاته الفكرة يشير بعض المفكرين الألمان من أمثال كريستيان هوف وما أورده رفقة بعض الباحثين الآخرين في كتاب "البابوات أسياذ على السماء والأرض" الى أنّ التاريخ مليء بمحاولات ممثلي الطبقة الثيوقراطية من السيطرة والتملك باستخدام بناءات فكرية تبدأ من محاولة ضبط نظام العلاقات أو الروابط الإجتماعية سواء بين الأرضي والأرضي أي بين الفرد والفرد أو بين الأرضي والسماوي أي بين الفرد وفكرة الله.

التاريخ يتميز بنوعين من الصراع الأول يتعلّق بالصراع إمّا بإمتلاك السلّطة للوصول الى المادة أو إمتلاك المادّة من أجل الوصول الى السلّطة وفي كلا النوعين يتمّ تهذيب الجانب العلاقاوي للفرد في المجتمع وفق نموذج يطرح فكرة شعور أغلبية العالم بالإستلاب حتّى بالنسبة الى أولئك الذين يتميزون بتجنّد للقيم الثقافيّة والدينية أكثر من غيرهم في حياتهم الاجتماعيّة، وتغيّر الطبقات المسيطرة في المجتمع لا يعني بالضرورة تغيّرا في التّمنيط العلاقاوي للأفراد في المجتمع، فسيطرة الطبقة الثيوقراطية أو الطبقة البرجوازية أو أي طبقة أخرى يعني طغيان نمط علاقاوي يخصّ ذلك النوع من السيطرة الذي يقوم على نمط التّحكّم على أكبر نطاق ممكن في الوعي الجمعي في مقابل الوعي الفردي وهنا الوعي الفردي لا يعني مجرد الوعي الخاص بالفرد ككيان مستقل في المجتمع ولكنّه يعني بالضرورة الوعي الخاصّ بطبقة معيّنة، وفي حالة الرّؤى الماركسية فالوعي الجمعي يمثّله وعي الطبقة العمالية ككلّ في حين الوعي الفردي هو وعي الطبقة البرجوازية وهنا سيكون مبنى الحديث مرتكزا بالضرورة على ربط مفهوم الوعي والوعي بالثّورة بمفهوم الرابط الاجتماعي وفيما يلي تفصيل لذلك.

لاحقا من خلال بعض الطّروحات الماركسية خاصة فيما يتعلّق بحديثه عن صياغة الثّقافة المهيمنة في المجتمع للعلاقات الاجتماعيّة يلاحظ ربط ماركس الضّمني بين تثبيت الطبقة البرجوازية لإمتيازها الطّبيقي وتكريسها لهيمنتها الاجتماعيّة على باقي الطبقات معتمدة في هذا على إعادة الإنتاج الثقافي في المجتمع مستخدمة مفهوم الأيديولوجيا والذي يأخذ شكلا سلبيا في الفكر الماركسي وهو وعي مغلوطة وزائف ببساطة لأنّه منتج للفعلة الاجتماعيّين تحت هيمنة ونفوذ سياسي وطبقي لمن يملك الثّروة

والسلطة الذي يبرّر لهم الإندماج والتّعايش مع النّظام الاجتماعي (عبدالغني، 2008، صفحة 54)، هذا البراديغم الثقافي الذي تبسّط به البرجوازية سيطرتها على المجتمع هو نموذج يتضمّن إدارة لنظام العلاقات والزوايا الاجتماعية بينها وبين باقي الطبقات وخاصة الطبقة العمالية (البروليتاريا) وهذا ما يمثّل عملية "أدلجة مكثّفة" (ميشيل، 1982، صفحة 10) للمجتمع ككل وهو في نهاية المطاف يمثّل وعي الطبقة المسيطرة على الواقع وبناءاتها التّصوّرية لهذا الواقع بما يتوافق مع مصالحها وتموقعها الطّبيقي (عبدالغني، 2008، صفحة 54).

بالرجوع الى الطبقة البروليتارية فالأمر لا يحتاج الكثير من التّعقيد لفهم وموقعة تحليل الرابط الاجتماعي من خلالها فالوعي بالثورة هو المفهوم الذي يقوِّض البراديغم الثقافي الخاص بالطبقة البرجوازية وهذا يعني بأن إعادة ترتيب تصوّرات الطبقة للعلاقات الاجتماعية يتمحور حول بناء ما يسمّيه لوكاتش بـ"الوعي الصّحيح" والذي يمثّل جملة التّصوّرات والأفكار التي من خلالها تدرك الطبقة البروليتارية موقعها الاجتماعي وهذا النوع من الوعي عليه أن يحمل تمثّلا للثورة ورفض الأوضاع الإعتيادية في المجتمع واستنادا لهذا الرفض ينتقل نظام الملكية من الطبقة الى الشمولية في حياة الثّروة والانتفاع بها، إنّ في براديغم "الوعي الصّحيح" يتم إعادة ترتيب وتنظيم لنظام العلاقات سواء بين العمّال فيما بينهم أو بين العمّال كطبقة اجتماعية وبين المالكين لوسائل الإنتاج كطبقة برجوازية رأسمالية كلّ هذا ضمن توجّه مفاهيمي لا يخرج عن مصطلحين هما المستغلّ والمستغلّ.

في تحليل آخر يرتبط طبعاً بالتحليل الماركسي للعلاقة بين الطبقات يكون التّضامن كصورة من الصّور التي تطفو على سطح العلاقات الاجتماعية متجذّراً في إدراك أفراد الطبقة لمصالحهم المشتركة في مواجهة خصومهم المشتركين وإنطلاقاً من وجهة النظر هذه يصبح التّضامن ظاهرة عقلانية لأناس تربط بينهم المصالح المشتركة.

في النّهاية إنّ علاقات الإنتاج التي يفرضها النّموذج السّوسيوثقافي الرأسمالي تفرض نوعاً من التّمنّجة العلائقية على الزوايا الاجتماعية والتي بدورها عبر تراكم كمّ لا محدود من الممارسات التي تدخل في نطاق ثنائيات المالك والمحروم، المسيطر والمسيطر عليه، المستلب والسّوي تبني واقعا اجتماعيا يكون فيه الفرد عبداً لنظام العمل أين يحمل شعوراً عميقاً بإستلاب الماهية البشريّة وهو

نفسه بلغة ماركس "إنّ تراخ الماهية البشريّة للعامل كفرد من الجنس البشريّ، إستلاب ذاته منه" (فالح، 2018، صفحة 153).

4. إمتدادا لكلمات ماركس: لوكاتش ينفي لاثشيء الروابط:

بداية لوكاتش لا يخرج كثيرا عن الطّرح الماركسي الكلاسيكي المتعلّق بتحليل العلاقات أو الروابط الاجتماعيّة في ضوء التقسيمات الطبّقيّة للمجتمع لذلك فهو يعطيها ذلك البعد المتضمّن قراءتها وفق وحدة العلاقات بين طبقة البروليتاريا والطّبقة الرأسمالية، يعتبر لوكاتش من أكثر الماركسيين الجدد في القرن العشرين الذين قاموا بتحليل مسألة الإغتراب والتشيؤ وهذا مجسّدا في أحد أهمّ كتبه وهو التّاريخ والوعيّ الطبّقي 1923، وهذا الأمر يمثّل إمتدادا فكريّا للمفهومين خاصّة في فكر ماركس وهيجل، في تحليله لمفهوم التشيؤ يربطه لوكاتش بوعي البروليتاريا وبظاهرة الإغتراب في حدّ ذاتها لذلك فهو يقصد بالتشيؤ "ذلك الوصف المادّي والجدلي لظواهر الإغتراب الذي يكابده البروليتاري في ظلّ هيمنة النّظام الرأسمالي" (عكّاك، 2022، صفحة 84).

في سوسولوجيا لوكاتش يعتبر مفهوم الصّيغة التجاريّة كوحدة تحليل يفهم من خلالها عمليّة التّميّط العلاقاّي المتعلّق بالطّبقة البروليتاريّة والبرجوازية، بلغة أكثر تفصيلا يعتقد بأنّ "الصّيغة التجاريّة لم تكن على رأس السّلطة إلّا في عهد ظهور الرأسمالية والصّفّة التي تحملها هاته الصّيغة هي أنّها إستطاعت تفكيك المجتمع الذي كان سائدا من قبلها وإعادة ترتيبه بما يتوافق مع مصلحة النّظام الرأسمالي ككلّ، وتعميم هذه الصّيغة التجاريّة يسبّب على الصّعّدين الدّائي والموضوعي تجريدا للعمل الإنساني يتموضع في السّلح"، لاحقا واستكمالا للتحليل المرتبط بالصّيغة الإنتاجيّة ينتقد لوكاتش فكرة تحوّل الإنتاج الى كونه إنتاجا بضائعا أين تعمّ فيه البضاعة وتصبح منفصلة تماما عن الحاجات الإنسانية الأولى الأمر الذي من شأنه تكوين "نظام إنتاجي عام يعمل على تجميد العلاقات الإنسانية وينشأها في شكل أشياء"، في نهاية المطاف يرتبط إستمرار ووجود المجتمع الرأسمالي بمدى تشيؤ "التشيؤ" في كلّ المجالات الحياتيّة وكلّما تجدّر هذا المفهوم أكثر كلّما وجدت فلسفة حياتية تقوم بالدرّجة الأولى على إعطاء الأولويّة للسّلعة على الإنسان وشموليّة وانتشار التشيؤ ترتبط حسب لوكاتش بتزايد التبادلات التجاريّة والتي أصبحت بمجرد ظهور الرأسمالية التّمط الخاصّ بالتداوت في المجتمع حسب تعبير أكسل هونيث (عكّاك، 2022، الصفحات 85-86).

"يعتمد بقاء الإغتراب على فكرة تحويل الأشخاص إلى أشياء وهو ما يسعى بالتشيؤ أو التّشيء. إنّ الرأسمالية تنزع عن البشر إنسانيتهم على نحو متزايد وهي تعامل الأفراد (وهم البروليتاريا) المنخرطين في عملية إنتاج السلع كأشياء وكماذّة، بينما تحوّل الشيء الحقيقي الذي يستند عليه العملية الإنتاجية ككلّ (وهو رأس المال) ليصبح ذات مصطنعة للحياة الحديثة. وعليه لا يمكن بأيّ حال من أن يصير قلب هذا العالم ممكناً إلا بإزالة ما اصطلح عليه ماركس في كتابه "رأس المال" بصنميّة السلعة، بعبارة أكثر بساطة يتطلّب الحدّ من الإغتراب إنهاء نزعة التشيؤ، وهذا يتطلّب الوعي بما يجب تغييره (ستيفن إريك، 2017، صفحة 45).

إنّ المجتمع الرأسمالي الحديث تتصوّر فيه العلاقات وفق نموذج يرتبط أساساً بالعملية الثّقاف-إقتصادية ككلّ ومجمل الأشكال العلائقية والتّمظهرات يأسسها بلا أدنى شكّ الوعي الطبقي الذي يبنيه نسق علاقات الإنتاج، وإذا أردنا المواصلة في تحليل الماركسيات خاصة المتعلقة بفكرة قراءته أو وضعه لنبوءات الصّيرورة الإجتماعية لابدّ أن نتحدّث على فكرة تحوّل المجتمع الى الإشتراكية ثم الشيوعية والامر الملفت هنا هو ليس التحوّل في حد ذاته ولكن هو تموضع مفهوم الرّوابط الإجتماعية من هذا التحوّل بمعنى أدقّ حسب ماركس فالبروليتاريا التي ستنتصر في التّهاية على جموح البرجوازية ونظامها الرأسمالي هي البروليتاريا التي تستحقّ هذا الإسم وهي نفسها من تحمل وتتمثّل لمفهوم الوعي بالثّورة، ففي التّهاية لا تجتمع الطبقة العمّالية بنظام علائقي لا يقوم على مبدأ التّضامن والتّماسك، وبغضّ النّظر عن نوع التّضامن ومدى اختلافه أو تشابهه عن التّضامن الدّوركايمي إلا أنّه يتميّز بأنّه معرّز بشعور جمعي وهو الشّعور بالإستلاب أو بالإغتراب بلغة لوكاتش وهذا ما يمنع إنبهار الرّوابط الإجتماعية في حلقة أبدية ومفرغة بفعل الصّنمية والتشيؤ.

يقول برونر في تعقيب له عمّا أسماه لوكاتش بـ "المعاداة الرّومانسية للرأسمالية"(ويقصد هنا لوكاتش بهذا المصطلح كتابه المعنون بـ نظرية الرّواية وكتاب زميله المفكّر بلوخ والمعنون بروح اليوتوبيا):

"الأثر الفكري الذي تركه هذان الكتابان في النّظرية التّقديّة من خلال التأمّل في مفهوم الإغتراب الذي تتّسم به الحياة الحديثة، والإدراك الخاص بنهاية العالم، والنقد الشّديد للعصرية. وقد أكد كلاهما على التشرّد المتزايد للحياة وعلى شروع العلاقات البشريّة بين الأشخاص في الإنهيار. وكلاهما

يتوقع شكلا جديدا من التضامن القائم على البحث عن تجربة أصيلة (أو لنقل فقدان التجربة الأصيلة) والإدراك الخاص بنهاية العالم. (ستيفن إريك، 2017، صفحة 48).

5. بلوغ الذروة في التّمادد: العقل الأداتي وبناء فرد الهشاشة:

في كتاب "جدل التنوير" يفتح هوركهايمر وأدورنو أبواب النقد على مصراعيه هذا النقد موجّه بالدرجة الأولى لمفهوم التنوير الذي يمثّل في شكله المثالي خلاصا للعقل البشريّ من أوهام السحر والخرافات والأساطير ومن الخوف وبالتالي جعله حراً منسلخا من كلّ ما هو لا عقلائي وبربري ونقدا للوضعية وللنزعة العلمية المفرطة التي تحوّلت الى "أيديولوجيا شمولية أصبحت تنظّم علاقات الإنسان بالإنسان والإنسان بالإنسان بالأشياء" (موقاي ، 2014، صفحة 80)؛ إنّ العقل التنويري قد حاد عن غايته وسطرّ حقبة تاريخية جديدة كان فيها التّحديث العقلاني نفسه (التنوير) المفتعل الأساسي للأزمة فبعد أن تعلّم النّاس من الطّبيعة كيفية السّيطرة عليها باستخدام مفهوم التّقنية وبنفس الأدوات توجّه على نحو مغاير للأول نحو السّيطرة على النّاس وبمعنى مشابه لما أورده فوكو عندما اعتبر بأن اللغة أنتجها الإنسان وهي تمارس عليه نوعا من القيود (هوركهايمر و أدورنو، 2006، صفحة 23) أنتج الفرد الأداة ليتحكّم في العالم فأصبحت هي من تتحكّم به.

إنّ من الأهداف الأساسية لهوركهايمر وأدورنو من خلال كتاب "جدل التنوير" هو بالدرجة الأولى تحليل "تدمير العقل التنويري لنفسه"، حسب هذا الكتاب لقد تراجع التنوير والسبب الأساسي في ذلك لا يرتبط بأخذه "بالأسطورة فلا يجب البحث عنه في الأساطير القومية الملحدة أو غيرها" كما قال المفكران ولكن يعود سبب التراجع الى التنوير ذاته لأنه مصاب بالشلل بفعل الخوف الذي تبثّه الحقيقة" وليست الحقيقة هنا ما يمثله إنعكاس الوعي العقلاني في المجتمع ولكنها شكل الوعي في الواقع، هذا التنوير في نهاية المطاف لا يعبر سوى عن حركة المجتمع البرجوازي الفعلي، في نفس السياق إرتبط طغيان العقل الأداتي على الحياة الاجتماعية والذي يعدّ أحد الإفرازات الغير مرغوب فيها للتنوير ومن الحداثة بمصطلح أشمل سببا رئيسيا في التقدّم الإجتماعي بشكل عام وبلا أدنى شك يتضمن هذا التقدّم تقدّما إقتصاديا، فنمو الإنتاجية الإقتصادية يمنح للطبقة البرجوازية بصفة خاصة ترفعا عن باقي الطبقات الاجتماعية لأنّها الطبقة التي تستخدمه ويمنحها سيطرة في توجيه نسق العلاقات وفي إخراج نموذج المجتمع-المصنع (وهو نموذج ثقافي برجوازي مبتدع بفعل غياب الرقابة الذات-عقلية على

الزّعة الأداتية في المجتمع) لنظم من السيطرة التوتاليرتية على الحياة الاجتماعية أين تتحكّم علاقات الإنتاج في كلّ الروابط بين الأفراد وتعيد إنتاجها وفق منى التّمداد والهشاشة، هذا من جهة ومن جهة أخرى تفنّى بشكل مهول ما يسمّى بالتشيؤ وهذا الأمر الذي يعتبر نتيجة منطقية "لإختفاء الفرد أكثر وأكثر خلف الأداة التي يستخدم" كما قال كتاب "جدل التّنوير" (هوركهايمر و أدورنو، 2006، الصفحات 16-17)، ففي النهاية يطرح العقل الأداتي نوعا من الممارسات الحياتية التي يكون فيها الفرد مبنى إجتماعي تدير فيه الهشاشة كلّ العلاقات والروابط الإجتماعية التي يقلّ فيها شيئا فشيئا حضور مفاهيم من قبيل التماسك أو التّضامن الإجتماعي لتنتهي أخيرا الى تشكيل فرد الهشاشة.

لاحقا أنتقد رواد النّظرية النّقدية الأوائل هوركهايمر وأدورنو بغلوهم في تأسيس القاعدة النّقدية الفكرية لتحليلاتهم على مفهوم "العقلانية الأداتية" وتهدف بالإعتماد على المعرفة التّجريبية والرياضية التي تخضع للقواعد التّقنية الى السيطرة والتحكّم" وبالتالي فهي تأسّس فهما موجّها عن فهم العلاقات والروابط الإجتماعية وتشكّلها في المجتمع وهاته الفكرة نفسها والمتعلّقة بمفهوم "العقلانية الأداتية" اعتبرها هابرماس فهما سلبيا عن التّاريخ وهي تحامل على العقل وعدم الثّقة به وعليه يجب تجاوز هذا الإنسداد الفكري عن طريق بفتح المدى الإدراكي لمفهوم العقلانية الأداتية واستبدالها بما أسماه بالعقلانية التّواصلية وهو يعني بها ذلك التّفاعل الذي يحدّد طبيعة العلاقات الإجتماعية أو الإنسانية في قطع زمني معيّن بواسطة الرّموز (موقاي ، 2014، صفحة 83) وبغضّ النظر عن كون أن الفهم الخاص بالعقلانية التّواصلية ذا منى سلبى أو إيجابى إلا يطرح تحليله للعلاقات والتّفاعلات بين الأفراد وفق مفهوم المجال الإجتماعي.

6. إسقاط محليّ للرؤى: سوسيولوجيا الروابط في الجزائر:

إنّ الحديث عن الرّابط الإجتماعي في الجزائر يرتبط على وجه التّحديد بالقيام بقراءة تاريخيّة للتحوّلات الإجتماعية التي مرّ بها المجتمع في حدّ ذاته، وكما ربط دوركايم في حديثه عن الرّابط الإجتماعي حينما أعطاه بعده المفاهيمي المتعلّق بمفهوم التّضامن الآلي والتّضامن العضوي، وأيضا كما ربط من قبله ماركس بين تحوّلات النّظام الإقتصادي بمراحله كلّها وصولا الى الإشتراكية والتبدّل في النّظام العلاقتي وفي الروابط الإجتماعية بين الأفراد والذي بعده قد طوّر هذا الطّرح المفكّر لوكاتش وغيره من الماركسيي الزّعة والتوجّه، ينطبق نفس الطّرح المعني على حال الروابط الإجتماعية في الجزائر، فالمجتمع

الجزائري قبل أن يعرف تحوُّلاً في الشَّكل المادي له من مجتمع ريفي يهيمن عليه النِّظام العشائري الى مجتمع شبه متمدّن ومتمدّن (سوالمية، 2016، الصفحات 165-167) كان قد تحوّل أيضاً ثقافياً من مجتمع إقطاعي الى مجتمع إشتراكي ثمّ الى مجتمع رأسمالي وهذا التحوّل هو عابر للمجال يصل حتّى نظام الرّوابط الإجتماعية وفي شكلها، وكل هذا يوجي بضرورة القراءة التاريخية لتطوّر المجتمع قبل وضع أي فهم متعلّق بالروابط الاجتماعية فيه.

هناك العديد من الدّراسات المحليّة التي كان الطّرح الأساسي لها هو دراسة مفهوم الرّوابط الاجتماعيّة في المجتمع الجزائري ومن هاته الدّراسات على سبيل الذّكر لا الحصر: دراسة عدّي الهواري، دراسة مصطفى بوتفنوشت، دراسة رشيد حمدوش وغيره، وماهو واضح واكيد فيما يتعلّق بفهم الرّابط الاجتماعي في المجتمع الجزائري هو تمييز مرحلتين أساسيتين من اجل فهمه فالأولى هي المرحلة ما قبل الكولونيالية ومرحلة ما بعد الكولونيالية وكلا المرحلتين ترتبطان ببعضهما أشدّ الإرتباط وفيما يلي تفصيل لذلك:

تتميّز المرحلة الأولى بطغيان الشّكل المادّي الرّيفي وهيمنة الهياكل والبنى القبليّة التي تتحكّم في النّسق الاجتماعي والثّقافي ككلّ لذلك في هاته المرحلة يطغى على الرّوابط الاجتماعيّة تلك العصبيّة والشّعور الجمعي فلا يشعر الفرد هنا إلّا وأتّه جزء لا يتجزّأ من الجماعة الحاضنة له وكلّ هذا يدعّمه الرّوابط الدّمويّة في المجتمع الواحد بين أفرادها، ويسود في هاته المرحلة الوحدة والتّماسك الاجتماعي ويسود أيضاً نوع من التّضامن الآلي والتّرابط بين الفرد وباقي المجتمع (قريد، 2022، صفحة 602)، في الجهة المقابلة يعتقد عدّي هواري في دراسته بأنّ الجزائر تعيش أزمة في الرّوابط الاجتماعيّة التي لها إمتداد من الفترة الإستعماريّة وهو يعتقد بأنّها تواجه صعوبة في التخلّص من البعد البيولوجي لها والانفتاح على الأبعاد الأخرى، إضافة لكونه يرى بأنّ الجزائر عبارة عن "جماعة كبيرة وهي لا تعدّ مجتمعاً" التي تعيد إنتاج نفس الرّوابط التي تنبني على القراية وفي نهاية المطاف يخلص الباحث الى أنّ الرّابط الاجتماعي في الجزائر هو "نموذج جماعاتي بامتياز" (سوالمية، 2016، صفحة 169).

إنّ السّياسات الاجتماعيّة والإقتصاديّة التي عرفتّها الحقبة الإستعماريّة في تاريخ المجتمع الجزائري إبتداء من تجريد الفرد من ملكيّة الأرض ونفيه في طبّقة عماليّة بسيطة توصف بأنّها "بروليتاريا ريفيّة" قد أحدثت فصلاً حادّاً في النّسيج الاجتماعي وتفكيكا للمجتمع التّقليدي وهدم للوحدة العشائريّة

و"التضامن القرابي" وبناء مجتمع أكثر ملائمة مع مخرجات المنظومة الرأسمالية الأوروبية القائم على تشييء الروابط الاجتماعية وهذا لا يقتصر فقط على تلك الحقبة من حياة المجتمع ولكنه يتعدى الى المدى الطويل من حياته (قريد، 2022، صفحة 605)، هذا بخصوص المرحلة الأولى أما بخصوص المرحلة الثانية أي مرحلة ما بعد الإستقلال أو ما بعد الكولونيالية فقد صاحبها تبدلات سوسيوقافية واقتصادية للمجتمع الجزائري ساهمت هي الأخرى في تشكيل "نمط عصري" من الروابط الاجتماعية والذي يتميز كما اعتقد الباحث بوتفنوشت "بأشكال جديدة من التّعاشيش بحيث شرع فيها التضامن بالأفول" (سوالمية، 2016، صفحة 170)، ونفس هذا الطّرح يتشارك فيه الباحث حمدوش مع الباحث بوتفنوشت بحيث يعتقد في مقاله "مفهوم الشّباب وعملية بناء الرّباط الاجتماعي" (حمدوش، 2013) هو الآخر بوجود أشكال جديدة من العلاقات الاجتماعية ترافق أشكال جديدة أخرى من الشّباب بمعنى أنّ كلّ نوع شبابي أو جيل يتميز بنوع علاقاتي معيّن، فالنّمودج الأول من الشّباب متّصل ومرتبّط ب"التقليدي" وهو لا يستطيع بأيّ حال من الأحوال من أن ينفصل عن جماعته الأولى خاصة الأسرة ويتميّز هذا النّوع بنمط علاقاتي تقليدي يعتمد على التضامن المكثّف بين أفراد الجماعة، والنّمودج الثّاني من الشّباب هو نمودج حدّاثي ومتفتح على الخارج ولا يجد أي صعوبة في الانفصال عن الجماعة الأولى وهو أكثر إنتشارا من النّوع الأول، ويتميّز بنمط من العلاقات الاجتماعية "التعاقدية والحديثة" ذات الشّكل الفردي والمتفتح على كلّ جديد، أمّا النّوع الثّالث فهو نمودج "الشّباب البيئي" وهو يتموضع بين النّوعين السّابقين وهو الأكثر إنتشارا بينهم جميعا ويقابله نمط من العلاقات البيئية وما يميّز هذا النّمط من العلاقات كما قال الباحث هو "التموقع الإرادي للفرد وفي نفس الوقت التّموقع الإجباري على حدود أحد القطبين التّقليدي أو الحديث" (حمدوش، 2013، صفحة 243).

إنّ الرّابط الاجتماعي في المجتمع الجزائري كما بدى سابقا ليس في معزل عن التحوّلات في المجتمع العالمي ككلّ فالتبدّل الإقتصادي والديمقراطي والثّقافي للمجتمع والتحوّلات الفكرية المرتبطة بمرحلة المابعد الكولونيالية بتعبير غيدنز إضافة الى تطوّر التكنولوجيا أو التّقانة على جميع الأصعدة تغيّر في نسج العلاقات داخل المجتمع وتحديث شبه قطيعة بين الجماعات التي تتسم بأنّها لم يتوقّف فيها على الأقل نفس القدر من عوامل التّغيير (التحوّل الفكري، الإقتصادي الديمغرافي والتكنولوجي)، وبين الجماعات التي تحمل تلك العوامل بقدر أكبر.

خاتمة:

ختاماً نستنتج بأنّ التحوّلات الكبرى التي شهدتها المجتمع والتي شكلها كان في الإنتقال الثقافي والإجتماعي والمادّي من التقليد الى الحداثة ومن البساطة الى التعقيد ومن الجمعانية الى الفردانية ومن الترابط العفوي الى ترابط مفكّك كلّها نقلات تاريخية شكّلت وبلورت بطريقة أو بأخرى مفهوم الروابط الإجتماعية، واستناداً لفكرة التغيّر الهيراقليطي لا يمكن بمكان تحديد هذا المفهوم عبر حصره وضبطه بصنم معرفي نهائي وحتى لا يوجد بناء مفهومي للروابط الاجتماعية يتّسم بالمطلقية يستطيع إستيعابه حتى بالنسبة للمرحلة الحالية التي تم قراءة المفهوم فيها لأنّه مرتبط بالديناميكا الاجتماعية فيتغيّر كما يتغيّر المجتمع ويتحوّل بتحوّل التاريخ والوعي الإنساني به.

● قائمة المراجع:

- برونر ستيفن إريك. (2017). *النظرية النقدية- مقدّمة قصيرة جدّاً*. (سارة عادل، المترجمون) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي.
- بشير طلحة. (2021). *سوسيولوجيا الرّابط الاجتماعي-محاولة للفهم*. (الإصدار 01). الجزائر: مطبعة حمدي الأزهر.
- بن عبد العزيز محمد خواجه. (2018). *سوسيولوجية الرابط الاجتماعي- بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية*. (الإصدار 01). ألمانيا: نور للنّشر.
- جون سكوت. (2009). *علم الاجتماع المفاهيم الأساسية*. (ترجمة: عثمان محمد). بيروت- لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنّشر.
- عبد الجبار فالج. (2018). *الإستلاب* (الإصدار 01). بيروت-لبنان: دار الفارابي.
- فادية ميشيل. (1982). *الأيديولوجية- وثائق من الأصول الفلسفية*. بيروت- لبنان: دار التنوير.
- عماد عبد الغني. (2008). *سوسيولوجيا الثقافة- المفاهيم والإشكاليات من الحداثة الى العولمة*. (الإصدار 02). بيروت-لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ماكس هوركهايمر، وتيودور ف أدورنو. (2006). *جدل التنوير- شذرات فلسفية*. (ترجمة: جورج كتورة) بيروت- لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

المقالات:

- إسماعيل عكاك. (جوان، 2022). نظرية التثنية عند جورج لوكاتش. مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، 13(01)، الصفحات 66-94.
- بلال موقاي. (15 09، 2014). يورغن هابرماس: التفكير مع مدرسة فرانكفورت ضد مدرسة فرانكفورت-. الحوار الثقافي، 03(02)، الصفحات 79-83.
- رشيد حمدوش. (08 03، 2013). مفهوم الشباب وعملية بناء الرابطة الاجتماعية: عناصر للنقاش مع محاولة بناء نمطية للشباب في المجتمع الجزائري المعاصر. مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 02(01)، الصفحات 221-248.
- سمير قريد. (30 01، 2022). تحولات الرابطة الاجتماعية في المجتمع الجزائري- مقارنة سوسيوتاريخية-. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 13(01)، الصفحات 599-613.
- لطيفة طبال. (01 06، 2012). تفكك الروابط الاجتماعية طريق الى الهجرة- قراءة سوسولوجية. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، 5(2)، الصفحات 121-130.
- نادية كناري. (15 03، 2014). الرابطة الاجتماعية في الجزائر بين الثبات والتغير. الحوار الثقافي، 03(01)، الصفحات 138-142.
- نورية سولمية. (15 11، 2016). نحو نظرية جديدة للروابط الاجتماعية. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، 04(19)، الصفحات 157-174.
- هجرة قوارح، وخيرة بغدادي. (12 04، 2020). العلاقات الاجتماعية بين المجتمع الحقيقي والمجتمع الافتراضي. الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، 12(07)، الصفحات 73-90.

المعاجم:

- معجم المعاني <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar> .